

KADHAYA
TARIKHIA



مجلة دراسات تاريخية

ISSN : 718X

EISSN : 2802-6031



<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228>

ثقافة الصورة و أهميتها التعليمية.

Culture of the image and educational importance

أ.د/ الصادق دهاش

أستاذ التعليم العالي جامعة البليدة 2

dahache09saddek@gmail.com

الصفحات: 140 - 158

العدد: 01

المجلد: 08

تاريخ النشر: 2023/..../..

تاريخ القبول: 2023/07/11

تاريخ الاستلام: 2023/06/16

ملخص:

يعالج هذا المقال وسيلة هامة من وسائل الإيضاح التعليمية التي تستعمل في مختلف التخصصات و في كل مستويات وأطوار التعليم، فالصورة تعد من أهم طرق التعليم ، كطريقة التدريس بالكفاءات، وحل المشكلات وطريقة التعلم بالمحاكاة والتماثل، فالصورة أصدق تعبير عن الكلمة، لأنها تتميز بالدقة والموضوعية والشمولية، تختصر الوقت والجهد، لذلك يقول المثل الصيني " الصورة بألف كلمة"، وخاصة في زماننا هذا الذي يتميز أساسا بتعميم ثقافة الصورة، بعصر العولمة الإعلامية أين أصبح العالم فيها عبارة عن قرية صغيرة مكشوفة ومعقدة.

الكلمات المفتاحية: صورة - ثقافة - التعليم - وسيلة إيضاح - المهارات.

Abstract: This article discusses an important means of aids to teaching that are used in a variety of disciplines and at all levels and stages of education. image is one of the most important methods of learning, as skills, problem solving and simulation method and learning by symmetry, the picture is the most true expression of the word because it is characterized by rigor, objectivity and completeness, shorten time and effort, so the Chinese saying, "the image of a thousand words", especially in this time, which is characterized mainly by the circulation of image culture, the globalisation media where the world has become a Small and complex village.

Keywords: Image – Culture – Education– Illustration – Skills .

مقدمة:

إنَّ عصر اليوم هو عصر الصورة بامتياز، وبناء عليه لم تعد أية سلطة أو وسيلة أخرى تنافسها في درجة التأثير على فكر الفرد العادي، فما بالك على الإنسان المتعلم، لذلك نقف على حقيقة تفوق ثقافة الصورة على ثقافة الكلمة المجردة الجافة، نظراً لتأثيرها الحاسم والقوي والساحر على أذهان وعقول الطلبة والمتعلمين عامة، وفي الحقيقة صارت الصورة أسهل فهما من الكلمة، وعلى الرغم من كل ذلك فإن اللغة اللفظية مازالت طاغية على لغة وثقافة الصورة في أغلب المؤسسات التربوية والتعليمية العربية، ومع ذلك تبقى الصورة ضرورية في العملية التعليمية المعاصرة وهي الفريضة الغائبة ، لأنه مهما قيل ويقال تبقى الصورة وسيلة من وسائل التعبير والتواصل بين المتكلم والمخاطب والقارئ، خاصة وأن للصورة معنيان ، معنى محسوس مرئي يكون متاحاً للجميع وآخر معقول وفكري غير ظاهر ، يكون من اختصاص النخبة المثقفة و، نعني بها الصورة التي تتحقق بتقنية الإدراك.

فأصبح التعليم اليوم في عصر العولمة تعليماً بالصورة، على اختلاف أنواعها وأقسامها، نظراً لتطور عملية التدافع العلمي والتكنولوجي وتداخله وتكديسه، وربحاً للجهد والوقت والمال كان الأجدر التوجه نحو ثقافة الصورة وتعميمها على مختلف أدوار ومستويات التعليم عبر العالم، غير أن قراءة الصورة وتأويلاتها عززت من مركزها ودورها الخطير في المنظومات التربوية والتعليمية، فلا يكاد يخلو نص تعليمي في أي وحدة أو مادة من وجود صورة تساعد على فهم النص، ولذلك يمكن تحويل خطاب النص المكتوب إلى خطاب نص مرئي، أو تحويل مضمون خطاب الصورة إلى نص مكتوب. وأصبحت الصورة تنافس النص المكتوب ولا تلغيه، ولذلك فالإشكالية المطروحة في هذا المجال هي: ما هي طبيعة توظيف الصورة التعليمية وكيفية الاستفادة من مهارة قراءة مضامينها؟ وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا جملة من التساؤلات منها: ما مفهوم الصورة التعليمية؟ وما خصائصها ومميزاتها؟ وما هي إيجابيات وسلبيات قراءة الصورة التعليمية؟ وما هي المهارات التي يكتسبها المتعلم من قراءته للصورة التعليمية؟.

1- مفهوم الصورة ومراحل تطورها:

تنطلق اليوم بعض المحاضرات والدروس من الصورة وتنتهي إليها، وتجعلها منطلقاً للشرح والتفسير والتحليل، لذلك فعلى الأستاذ المربي أن يجب و ينمي في طلبته ثقافة الصورة، لأن التعلم والتعليم اليوم صار تعلم بالصورة بامتياز، فمن أوجب وجبات أستاذ اليوم هو مد طلبته وتسليحهم بطريقة فحص الصور وتحليلها، بقراءة ناقدة، خاصة وأن لكل صورة مفهومين رئيسيين هما: الأول المفهوم الدلالي أي ما يقال، والثاني المفهوم الجمالي، أي ما يتضمنه الخطاب، وفي الحقيقة ترجع جذور كلمة صورة إلى الكلمة اليونانية *Imago* ، والتي تعني التشابه والمحاكاة وليس الواقع ذاته، وكانت لها دوراً تعليمياً بارزاً في فلسفة أفلاطون.

إن كلمة الصورة من الألفاظ التي اختلف الباحثين حول تعريفها، في كلمة فضفاضة تعددت مفاهيمها من كاتب لآخر، بحسب تنوع وتعدد الأديان والثقافات والحضارات، وإن كانت الصورة

تعني في اللغة العربية هيئة الشيء وصفته، و بما أن المقام لا يتسع لأن نلم بكل التعاريف التي أعطيت للصورة، ولذلك أكتفي فقط الإشارة إلى أربعة معان للصورة والتي قدمها ستولنيتز وهي: تنظيم عناصر الوسيط المادي التي تتضمنها الصورة أو العمل ، وتحقق الارتباط المتبادل بينها،تنظيم الدلالة التعبيرية إذ أن تنظيم التعبير لا يؤدي فقط إلى زيادة الدلالة الفكرية للصورة أو العمل ، بل إنه يضيف على الصورة والعمل وحدة أيضا،هي نمط محدد من التنظيم يتصف بأنه تقليدي ومعروف، وهي التي تجلب المتعة والمسرّة للإنسان ، لأن الصورة الجيدة تتخذ قيمة جمالية ، وتعكس حيوية وقدرة على مخاطبة المشاعر¹ .

و عادة ما تربط الصورة بالكلمة واللغة ، لذلك فالصورة كلمة جامعة شاملة لكننا ألفنا ربطها بالصورة المطبوعة أو الشريحة لعموميتها²،وأما الصورة التعليمية وهي أهم أنواع وأشكال الصور ، فقد عرفها السيد سرايا على النحو التالي، فهي " عبارة عن تسجيل دقيق للشكل الظاهري للجسم، فيبرز شكله ولونه ،ويمكن أن نستدل منها على صلابته و ليونته أو ملمسه من خلال خبرتنا الحسية"³. ومن مميزات الصورة التعليمية أنها تستفز المتعلم وتدفعه للتفكير والاجتهاد وربط العلائق الموجودة في الصورة في شكلها الخارجي وفي مضمونها الداخلي فتعوده على مهارة كيفية استنطاق الوثائق المكتوبة والمصورة .

والمعلوم عند كل الأساتذة بأن جميع الرسومات التوضيحية والتعليمية والبيانية والخرائط والكرات الأرضية والرسومات الهزلية والكاريكاتورية والإشهارية ، كلها وبدون استثناء هي وسائل اتصال بصرية مرئية، فالواجب على أستاذ اليوم ، أستاذ الألفية الثالثة وخاصة في وطننا العربي أن يستثمرها في دروسه ومحاضراته وأن يحسن استغلالها وتوظيفها توظيفا تربويا وعقلانيا ومهارتيا، لكي يكتسب الطالب من خلالها لغة جديدة هي (اللغة البصرية)،لأن عصر العولمة اليوم أصبح يأخذ بصفة أكبر

من ثقافة الصور بدل الكلمة المطبوعة، لذلك حان الوقت لتعويد طلابنا على فنيات ومهارات قراءة الصور، وفي الأخير أؤكد على مسألة أساسية ، وهي أن الدراسات العلمية التعليمية تقول بأن نسبة 75% من المعرفة تصل الإنسان عن طريق النظر، وأن التعليم بالصور يوفر على المعلم والمتعلم الجهد والوقت والمال بنسبة 40% .

ولذلك يمكن اعتبار أي صورة تعليمية ، إذا وفقط كانت تعطي معلومات معينة أو بيانات محددة ، و تعتبر الصورة من رمزا فريدا من نوعه لهوية الإنسان عبر الامتداد الجغرافي والتاريخي ، وهي أهم وسائل الاتصال الإيضاحية في العملية التعليمية⁴ والتعليمية⁵، وتنقسم الصورة إلى عدة أنواع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الصورة الثابتة والمتحركة، الصورة الإشهارية، الصورة الدعائية، الصورة السينمائية، وهناك الصورة الذهنية وهو نوع قراءة ثانية للصورة الحقيقية.. الخ، و قد ارتبط وجود الصورة تاريخيا بوجود الإنسان على الأرض، فالصورة اليوم وحدها كافية لحدوث انقلابات لحكومات عدة عبر العالم، وإشعال حروب طاحنة، لذلك سلكت الصورة أشواطا كبيرة وبعيدة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

وبالتالي فإن تاريخ الصورة قديم جدا تمتد جذوره وأصوله إلى مراحل تطور الكتابة و التي كانت أولى مراحلها هي المرحلة التصويرية التي كانت عبارة عن رسومات ، فكان الإنسان البدائي الأول يرسم رسما ما يعبر به عما يختلج في صدره ، أو ما يريد التعبير عنه بالكتابة، كأن يرسم أو ينقش بقرة أو عصفورا أو حصانا أو تاجا للملك، ثم تطورت الكتابة التصويرية وارتقت إلى مرحلة الكتابة الرمزية والتي تعنى بالكلمات المجردة المعنوية ، فصار مثلا التاج رمزا للملك، وأما في مصر الفرعونية " فقد اكتشف الفراعنة⁶ أهمية الصورة في السيطرة على الجمهور، لذا نقشت جدران المعابد بنقوش مصورة

تحكي عظمة الفرعون وهيبة دولته وجذوره المقدسة، فكان يستخدم لهذا الغرض اللغة الهيروغليفية⁷ وهي علامات تصويرية كان يفهمها فيما بعد كل المصريين كأداة لإيصال هذه الرسالة⁸.

وهناك الكثير من الصور التي لها مضامين حضارية وتاريخية وتراثية، كنفوش النقود و وجود صور الملوك والحيوانات عليها. أما الآن في عصر العولمة الثقافية وتطور الرقمنة تطورت معها الصورة بشكل رهيب وتغيرت معها طرق وأساليب قراءة وتفسير وتحليل دلالات الصورة واستنطاق معانيها وإيجاءاتها الغامضة والخفية.

2- الدور الوظيفي للصورة وفوائدها التعليمية:

و حتى تؤدي الصورة الوظيفة التعليمية والتربوية الدور المنوطة بها ، يجب أن تتوفر على جملة من المعايير وعددها عشرة وهي: الشكل (منظر الصور)، البساطة (غير معقدة)، الوضوح، التركيب، التنظيم، التوازن، الوحدة أو الكلية، التناسق، اللون، والتباين⁹، علما بأن الأستاذ أبي الحسن الندوي¹⁰ كان يرى بأن الصورة لا تستطيع مهما علا شأنها أن تحل مكان الحقيقة وتنوب عنها، ولا يمكنها أن تمثل دور الحقيقة في الحياة، ولا يمكن أن تقاوم الحقيقة وتكافحها، وإذا وقع صراع بينهما انهارت الصورة، لأن الحقيقة الحقيرة أقدر وأقوى من الصورة العظيمة المهيبة¹¹.

فعالمنا هذا الذي نعيشه اليوم هو عالم الحقيقة والأمر الواقع مهما عظم دور الصورة، لذلك فإن لغة الأشياء بين النظرية والتطبيق، تتحكم فيها نظرية التعلم من خلال التجربة، ولذلك فإن مرحلة التقاط الصور من الطبيعة، وبعدها إثارة نقاش حولها، بحيث يتم التفاعل بين الكلمة والصورة بشكل تبادلي على المستوى العملي، إذ قد تسبق الصورة أحيانا التعبير الشفوي، وأحيانا

يحدث العكس، أي يطور الطالب تفكيره عن طريق الصورة التي يتم بواسطتها استثار التفكير الإبداعي اللغوي الذي يؤكد على التفكير التوليدي¹².

وإن أحد أهم أشكال الفن المعاصر اليوم وهو الصورة، وقد اخترت التركيز على الصورة "نظرا إلى هيمنة الجانب اللغوي على البصري في حقل الثقافة العربية المعاصرة"، لذلك وجب الإشارة إلى أهمية الثقافة البصرية لدى المتعلم؛ فإن الصورة ليست إستراتيجية للتعلم فقط، وإنما هي طريقة لإبداع أفكار غير مألوفة، باعتبارها عنصرا فاعلا مرتبطا بالإدراك والوعي والفهم¹³.

ومن أجل ترسيخ ثقافة الصورة في أذهان المتعلمين و إقناعهم بقراءتهم لمضامين الصور التي التقطوها بأنفسهم، لأجل ذلك ذهب الأستاذ مع طلبته في رحلة علمية إلى الطبيعة، وفي النهاية طلب منهم التقاط صور كل من موقعه الخاص، و في النهاية توصل إلى نتيجتين رئيسيتين بعد الشرح والتحليل فأما النتيجة الأولى: هو إشغال الطلبة بالتركيز على تصوير الجزئيات فقط فتمكنوا من التمعن في درجات اللون بشكل أعمق عن طريق الصورة، وأما النتيجة الثانية: وهي ما اختارته إحدى الطالبات حيث تم التقاط صورة لفتحة ساق من شجرة البوق¹⁴ كان ملقى على الأرض، فاختلفت بذلك قراءة المتعلمين للمناظر التي صوروها، وكان الاختلاف في تفسير الشكل مرده إلى المرجعية الثقافية والاجتماعية لكل طالب، لأن الفرد يبنى المعاني للصور التي يشاهدها بناء على خلفيته الاجتماعية الثقافية¹⁵.

فالمضامين المخبوءة في الصورة البصرية تتعدى في تعدادها وصور إظهارها ما يجعلها عائمة مبهمة تنفلت من الضبط، وتكون توليدية في نفس الوقت، ولذلك فكلما تغير الشكل كلما تغير معه المعنى¹⁶. وهذا ما يؤكد برونر Bruner¹⁷ سنة 1957 بقوله بأن الفرد يتذكر 10% فقط مما

يسمعه و30% مما يقرأه و80% مما يراه أو يقوم به¹⁸، وهكذا ترافقت الكلمة والصورة، وهما تقنيتان متعلقتان وكل منهما يساهم بشكل مستقل في تكوين المعاني وهذا بدوره يساهم في اتساع أفق الطالب وهو معلم المستقبل، وبهذا سيكون بمقدوره إيجاد التوازن في الكتاب المدرسي بين اللغة البصرية واللغة الكلامية، فكلاهما يكمل الآخر، خاصة في ظل هيمنة الصورة¹⁹.

وتتعدد وظائف الصورة بحسب التأويلات عند القراءة الخارجية والداخلية لها، القراءة السطحية والمعمقة، فهناك الوظائف التربوية التعليمية و الدينية والثقافية، فالصورة إذن وسيلة هامة لنقل العلم والمعرفة والثقافة، وهذا الحكم لم يأت هكذا، بل كانت نتيجة دراسة معمقة لأهمية ودور الصورة في العملية التربوية، خاصة وأن الإنسان عبر مراحل تطوره التاريخية لم يثبت في يوم من الأيام أنه عادي الصورة أو كان خصما لها، ولكنه كان صديقا لها ومولعا بها، نظرا لما للصورة من فائدة عظيمة في حياة الإنسان اليومية خاصة في مجال التربية والتعليم و في ميدان التواصل عامة، فتقوم الصورة على تنشيط الانتباه والإدراك و التذكر والتصور والتخيل، وفي الحقيقة لن يعود ذلك إلا لأهمية طرق وأساليب توظيفها وعرضها²⁰.

وقد استخدمت الصورة ولا زالت في جميع مستويات و أطوار التعليم من التحضيري إلى الجامعي وما بعد الجامعي ونفس الأمر يخص التعليم المفتوح على جميع الفئات العمرية وفي جميع المجالات والاختصاصات، و عليه يجب على المربي والمعلم أن يختار الصورة التي تتوفر على الشروط الرئيسية التي تتطلبها العملية التعليمية وهي: أن تكون واضحة غير مشوهة أو مشتتة لأذهان المتعلمين، وأن تتناول ظاهرة أو قضية واحدة، لأن تداخل الموضوعات يؤدي إلى إشغال الطلبة بأكثر من مسألة دراسية، وأن تكون الصورة تعالج حادثة مأخوذة أو معبرة عن الواقع المعيش للمتعلم، مع ضرورة تحليل الصور الموجودة في الكتب المدرسية في مختلف المواد، وأن تكون تتناسب وسنه ومستواه الدراسي و لها علاقة ببرنامج التدريس، علما بأن الصورة تنقل المتعلم من العالم المجرد إلى الحقيقة المتخيلة، انطلاقا

من مقولة "ألاحظ الصورة وأعبر"، لأن الصورة تخلق إichاءات في نفسية المتعلم " فالصورة التعليمية أساسية في مجال التربية، ولذلك لا بد من تفعيل العملية التربوية التعليمية وتوطيدها بالصورة على اختلاف أشكالها وأحجامها، حتى تستطيع أن ترسخ في ذاكرة المتعلم ما لا تستطيع اللغة الحرفية الشكلية أن تبقى²¹، لأن الصورة تحمل دلالات نفسية وجمالية ومعرفية.

ومن المهام الأساسية التي تؤديها الصورة التعليمية والتربوية : التغلب على مشكلة البعد الزمني للمشاهد التي لها صور ولكنها زالت من الواقع، كما تعطي الصورة الأحجام الحقيقية للأشياء المصورة، والاستغناء بنسبة كبيرة عن اللغة اللفظية، دون أن ننسى بأن الصورة تقوم بتشويق المتعلمين وتحضر أذهانهم لعملية التعلم²²، ولكي تكون للصورة التعليمية فوائد كبيرة، توجد ثمة ترتيبات أولية يقوم بها الأستاذ وهي : طلب الأستاذ من المتعلم التعرف على الأشياء الواردة في الصورة وتسميتها بشكل صحيح، كما يأمر المتعلم بتصنيف ووصف تفاصيل الصورة، ويطلب بدراسة تفاصيل الصورة واستنتاج أشياء تتعلق بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، و الوصول إلى علاقة الأشياء ببعضها، وتحفيز المتعلمين على إجراء مقارنة بين الصور وبيان أوجه الشبه والاختلاف²³.

و مما لا شك فيه تلعب الصور والرسومات التوضيحية أهمية كبرى في عمليتي التعليم والتعلم، لأنها تجذب انتباه الطالب وتستثير اهتمامه، وتساعد الصور على تفسير وتذكر المعلومات المكتوبة التي تصحبها، وتزداد أهميتها كلما كانت وثيقة الصلة في اهتمامات المتعلم وحياته، وتساعد المتعلم على تتبع الفكرة المعروضة في الصورة وتكوين مفهوم كلي متكامل عن الموضوع، وفي الحقيقة فالرسومات المبسطة أفضل في التعليم من الرسومات المعقدة والمزدحمة بالتفاصيل²⁴.

وفي الحقيقة عندما نقوم بتوظيف الصورة في العملية التعليمية، فإننا نتحصل من وراء ذلك على فوائد كثيرة نذكر منها :تقدم الحقائق العلمية في صورة معلومات بصرية، وتوضح المفاهيم المجردة بوسائل

محسوسة، وتجسد المعاني والخبرات اللفظية ويسهل على المتعلم إرادتها مما يؤدي لزيادة الإدراك لديه وتصحيح بعض المفاهيم غير الصحيحة، وتنقل المعلومات والأفكار التي تعجز اللغة الصماء عن نقلها سريعا بصورة أكثر واقعة، وتثير لدى الطالب شتى أشكال التفكير، وتدفعهم إلى إعمال عقولهم و تؤدي إلى التشويق وشد انتباه المتعلم، وتعين المتعلم على حسن عرض الأفكار وتنظيمها، كما تعين المتعلمين على التعبير الحر وتربي عندهم الذوق الفني والأدبي الإلزاميين لمواقف الحياة المتنوعة، كما تسهم في تحسين القراءة اللفظية أيضا، وتقدم الحقائق العلمية في صورة معلومات بصرية، وتوضح المفاهيم المجردة بوسائل محسوسة، وتجسد المعاني والخبرات اللفظية مما يؤدي لزيادة الإدراك لدى المتعلم وتصحيح بعض المفاهيم غير الصحيحة، وتحفز المتعلم على القراءة الخارجية، وتعزز ما لديهم من معلومات، وتجسد المعاني والخبرات اللفظية إلى مادية يمكن أن يدركها المتعلم بسهولة، خاصة وأن تجسيد المعاني والخبرات اللفظية إلى مادية يمكن أن يدركها المتعلم بسهولة²⁵.

3- عوامل اختلاف قراءة الصورة :

توجد في مخيلة الإنسان على الأقل قراءتان لأي صورة مهما كانت، واحدة إيجابية والأخرى سلبية، وذلك بحكم معرفة الفكرة و ضدها، كما يمكن أن يكون للصورة معنيان، واحدة حقيقية وواقعية، والأخرى معنوية ومجازية، فمثلا حقيقة منظمة اليونسكو²⁶ عند عامة الناس وخاصتهم " تتعايش معا صورتان ذهنيّتان متناقضتان في العقل الجمعي، الصورة الإيجابية التي تعلي من شأن حماسة معابد أبو سمبل²⁷، و أحياء بوروبودور²⁸، والعمل الدولي لإنقاذ البندقية²⁹ والبارثنيون³⁰ والحفاظ على التراث، و الحملة ضد الفصل العنصري والتمييز، وترويج المساواة والتسامح

وحرية التعبير، أما الصورة السلبية فتركز على بيروقراطية متصلبة مفترضة ، موظفو خدمة دولية اعتبروا غير أكفاء .. " ³¹.

وفي حقيقة الأمر فإن الدراسات الفكرية والفلسفية ليس بالضرورة أن تكون الحقيقة موجودة في واحدة من الرأيين المتعارضين، لأن كل منهما يعبر ويسوق للحقيقة المزيفة الجاهزة، لذلك على قارئ الصورة أن لا يقف عند حدود الرأيين ، بل عليه أن يفتش عن رأي ثالث ورابع وهكذا، لكي يتحرر من النمطية الفكرية ، ويخرج من القوالب الفكرية المعدة سلفا للاستهلاك المحلي والدولي، لأن هناك مفاهيم ورؤى وثقافة مغشوشة يريد البعض الترويج لها بوسائل عدة، بهدف تنويم وتخدير الشعوب وتظليلها ، وذلك بتعطيل قدرات التفكير بها و تحيدها واحتوائها، بتقديم لها ثقافة جاهزة مسمومة، كما توجد حقائق مزيفة، تقابلها كذلك صورة مفبركة، وتمنى الندوي أن تثمر الصورة ما أثمرته الحقيقة ³².

4- مهارات قراءة الصورة:

و من البديهيات الأولى أنه عندما نستقبل أي صورة، علينا أن نتجرد من كل أحكامنا المسبقة، ولكن في نفس الوقت علينا أن نقر بأن الصورة مهما كانت محتوياتها ومضامينها فهي قابلة للتأويل، فلكل صورة مغالقتها ومخارجها ، وعليه فالإنسان القارئ للصورة بصدق وأمانة وموضوعية و بليونة محددة، مطالب أن يجعل مفاتيح رئيسية لهذه الصورة ³³، وتختلف هذه المفاتيح من قارئ لآخر ، لأن لكل صورة بعد فني جمالي يركز بدقة على قراءة الألوان وتدرجاتها في اللون، على أن يكون لكل لون معنى وقراءة وعنوان، وأما البعد المعرفي أو العلمي فيتمثل في قراءة مدلولات الصورة من حيث ما احتوته من معلومات ذات تعبير واقعي أو مجازي، وأما قراءة

الصورة "فتعني الخروج من الشواهد الظاهرة المباشرة، إلى الكشف عن المستور والمبهم، ذي الصفة الإيحائية، الباطنة"³⁴.

وذلك لاستخلاص النتيجة في إطار ما تدور حوله الصورة، وما تتضمنه من عناصر، وما تخفيه من رموز أو دلالات، وبذلك نكون قد توصلنا إلى ماهية الصورة وتحديد هويتها الحقيقية، من خلال إدراك الألوان والتميز بينها، ووعي حدس مضامينها بإعادة قراءة وتفكيك معانيها ورموزها، لأن للصورة ثلاث أبعاد: البعد اللوني، والشكلي والدلالي. فعلى القارئ للصورة أن يجتاز الخطوات الثلاثة التالية، الملاحظة، الوصف ثم التعليق، بمعنى آخر احتكاكه بالصورة يمر عبر هذه الخطوات حتى تكتمل لديه الرؤية الحقيقية للثقافة الإجمالية التي توحى بها الصورة، فالصورة جذابة بألوانها ومنطوقها، فهي ساحبة ومشوقة بما تملك من تأويلات في تشفير وتفكيك مسالكها وكنوزها، ويعتقد الأب (غريغوار)³⁵ بأن تأسيس الصورة في التاريخ القديم كانت خاصة بالذين لا يحسنون القراءة والكتابة، لذلك نراه يقول في حوالي نهاية القرن السادس الميلادي "... إذا كانت الكتابة موجهة لمن يعرف القراءة، فالصورة لمن لا يقرأ، فكل من لا يحسن القراءة يمكنه أن يقرأ الصورة، إنها موجهة خاصة لأولئك الملحددين الخارجين عن الدين، ثم يواصل كلامه فيقول: فالصورة قراءة... ويجب أن نفرق بين حبنا للصورة وبين العبر والدروس التي نستخلصها من هذه الصورة ذات الموضوع المحبب لدينا"³⁶ وقد أعطى علماء النفس والتربية ثلاث مستويات لفهم ومعرفة مضمون الصورة التعليمية وهي: العدد (تعداد محتويات الصورة)، الوصف (وصف عناصر الصورة)، التفسير (الربط بين عناصر الصورة)، فالصورة في النهاية ما هي إلا وسيلة تربوية تعليمية مهما كان شكلها ومضمونها، ولذلك ليس المهم في امتلاك الصورة ومشاهدتها، وإنما في تنمية المعلم في المتعلم قدرات ومهارات وآليات وميكانيزمات وفنيات قراءة الصورة، فالمهمة الكبرى للمتعلم هو ما يستخرجه من عبر وقيم وقضايا شائكة ومعقدة، فيقوم بتفسير محتويات الصورة وتحليلها ومقارنة ذلك بما يملكه من معلومات قبلية وبعديّة، و ذلك لكي يتعلم الشباب منذ

صغرهم الجمع بين اللغة اللفظية واللغة الصورية ، أي إيجاد عمل توفيق بين الكلمة والصورة، والصورة في الحقيقة تنطلق من فكرة وتنتهي بكلمة مصورة.

وأما الأستاذ علي عبد المنعم³⁷ فقد قدم سبع مراتب لقراءة الصورة وهي : التعرف ، الوصف ، التحليل، الربط والتركيب، التفسير، الإبداع، النقد³⁸، ولذلك وجب الابتعاد النهائي عن القراءة أو التفسير النمطي للصورة حتى نبعد أبنائنا لغة التبسيط والتسطيح والنمطية القتالة، و من جهة أخرى توجد خمسة مستويات لقراءة الصورة هي : مستوى العد: وفيه يعدد المتعلم محتويات الصورة، مستوى الوصف: وفيه يصف المتعلم محتوى الصورة مبينا ملامحها وأجزاءها وصفاتها، المستوى التفسيري: وفيه يقوم الفرد بإيجاد علاقات تربط بين عناصر الصورة ، مستوى الترجمة: و تعني تحويل الفرد رموز الصورة من رموز أيقونية إلى كلام ، ومستوى التقييم³⁹ ، و أما الأستاذة عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي⁴⁰ فقد أضافت أربعة مستويات هي: مستوى النقد و الربط و التركيب و الإبداع، لأن الكلمات تؤدي " دورا في التوجيه إلى الدلائل وتفسير الإشارات، لهذا الغرض يجب استخدام الكلمات ضمن الوسائل البصرية"⁴¹.

وفي الحقيقة تخضع الصورة التعليمية لعدة طرق وأساليب ليتم استغلالها استغلالا علميا ومفيدا، وذلك تبعا لنوع الصورة والوظيفة التي تؤديها، ومن أهم هذه الأساليب : المقاربة والموازنة بين صورتين مختلفتين في الزمان والمكان، إظهار مراحل التطور الذي حدث لظاهرة طبيعية أو اجتماعية ما ، تعتمد قراءة الصورة على أسلوب دقة الملاحظة، والمهارة في قراءة الصور، إتباع أسلوب الأغراض المحددة ، وذلك بأن يتيح المعلم للمتعلم المدة الزمنية الكافية لمشاهدة الصور، واستنتاج ما يمكن استنتاجه منها، فيقوم المتعلم بدراسة الصورة وقراءة معلوماتها، والتفاعل معها مباشرة، وسترى في النهاية بأن

المعلم اهتدى إلى استنتاجات متنوعة نتيجة لاختلاف إدراك المتعلمين للصورة، واختلاف سرعتهم في الاستنتاج⁴².

وتوجد خمس مهارات أساسية يجب على المعلم تلقينها وترسيخها في ذهن متعلمه وهي: مهارات التعرف، وتمثل في القدرة على معرفة وفهم الأشكال البيانية، و مهارات التحليل والتفسير، وتتضمن القدرة على عرض وقراءة وتفسير الشكل البياني، و مهارات التقويم، وتتضمن القدرة على تقويم البيانات والشكل البياني، ومهارات البناء، وتتضمن القدرة على فهم المعلومات والبيانات، و القدرة على اختيار نوع الشكل البياني الملائم، القدرة على اختيار وحدات قياس مناسبة، القدرة على ترجمة البيانات إلى وحدات قياس⁴³، وحتى تكون قراءة الصورة سليمة يجب أن يتضمن البحث عن عناصر تحليل الصورة والتي تتكون من العناصر التالية: اللون، الحجم، المسافة والبعد، الحركة، الحرارة⁴⁴، ويقوم المتعلم بتفسير مضمون الصورة عن طريق عدة آليات نذكر منها، الملاحظة والاستنتاج، لأن هناك معلومات نتحصل عليها من خلال الرؤية العينية، وأخرى بالاستنتاج العقلي، لذلك هناك عمليتين رئيسيتين نعتمد عليهما في الاستنتاج العقلي وهما: عمليات استنتاجية وتقويمية⁴⁵، وأما فيما يختص بعمليات مهارة قراءة الصورة، فيمكن اختصارها في ثلاث عمليات هي: ملاحظة ووصف محتوى الصورة، والتفسير باستخدام المعلومات المتضمنة في الصورة وعمل استنتاجات، و تقييم المعلومات المستنتجة⁴⁶.

خاتمة:

بعد معالجتنا للموضوع وتأكيدها على أهمية ترسيخ وتكريس ثقافة الصورة في العملية التعليمية بجميع مراحلها ، وذلك بتزويد وتسليح المتعلم بمختلف مهارات قراءة الصورة ، بقراءة مضامينها قراءة فاحصة وناقدة ، من دون الوقوع في أسر الصورة وتظليلاتها وإيجاءاتها ، لأن أية صورة مهما كانت وظيفتها وقيمتها تتقاسمها شخصيات فاعلة هي: منتج الصورة، قارئ الصورة، والراوي للصورة، لأن هذا الأخير لا يكون بالضرورة في كثير من الأحيان هو قارئ للصورة. وبعد هذه الدراسة فقد اهتمدنا إلى بعض الاستنتاجات التالية:

- الصورة في الحقيقة هي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية، وليست جزء إضافي تساعد على الفهم والإدراك، لأن قراءة الصورة تعود المتعلم على فهم لغة الصورة وفك رموزها ، حتى يستطيع التميز على ما يث لنا و يصنع لنا من صور مفبركة ، خاصة ونحن نعيش في عصر تحكم الصورة في العديد من ثقافات العالم.
- الصورة وسيلة تعليمية تساعد المتعلم على تنمية قدراته العقلية والمهاراتية والسلوكية والخطابية، وبالتالي فالصورة وسيلة لاكتساب مهارات النقد والتذوق والتحليل .
- تساعد الصورة على إثارة نوع من التنافس والمثابرة والتشويق بين المتعلمين و تبعد عنهم الروتين والرتابة والنمطية الموحشة ،أي تنمية الثقافة البصرية.
- لا يمكن تصور فصل الصورة عن الكلمة خاصة في الصورة المتحركة للأطفال.
- يوجد فرق صارخ وواضح بين الصورة والحقيقة، فمثلا صورة عنقود من العنب الاصطناعي غير حقيقة العنب الأصلي وعائلته، و لذلك فالصورة جزء من الحقيقة وليست كل حقيقة.
- تعتبر الوسائل البصرية من أفضل الوسائل التعليمية لأنها تثير دافعية البحث والتقصي في المتعلم .
- ضرورة تعميم استعمال الصور بجميع أنواعها وأشكالها في جميع أطوار التعليم من الابتدائي إلى الجامعي.

- ضرورة تزويد المؤسسات التعليمية بأحدث وسائل الإيضاح التعليمية التكنولوجية، مع تخصيص أيام تدريبية للأساتذة للتمرن عليها والتحكم في تقنياتها، مهما كانت درجة تعقيدها.
- عدم احتكار الأستاذ للكلمة أو التعليق على الصورة ،بل الأحسن إفساح المجال للمتعلمين وجعلهم محور العملية التعليمية والتعلمية، لأن الأستاذ في النظام التعليمي المعاصر ما هو إلا موجه ومرشد ، فهو وسيلة مهمة للأخذ بيد متعلميه للوصول إلى المعلومة والحقيقة بمنهجية علمية واضحة تعتمد على الاستدلال والبرهان والاستنتاج ، مستعملين مهاراتهم ومعارفهم القبلية والبعدية في تفسير وقراءة الصورة التعليمية.
- نطالب المزيد من الندوات واللقاءات التربوية والتعليمية تجمع الأساتذة والطلبة من أجل تفعيل دور وسائل الإيضاح ومنها الصور في خدمة أهداف المنظومة التربوية و الجامعة التي يجب أن تتأقلم مع محيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، علاوة على المحيط الدولي الذي يعيش على تقنيات التكنولوجيا في أعلى مستوياتها ودرجاتها.

الهوامش:

¹ ستولنتير جيروم : النقد الفني ، ترجمة فؤاد ، القاهرة ، جامعة عين شمس 1981، ص239.

² خالد فرجون: التصوير الضوئي، القاهرة، دار الحديث، 2002، ص6.

³ عادل سرايا:تكنولوجيا التعليم ومصادر التعلم، الطبعة الثانية.مكتبة الرشد،الرياض 2008، ص171.

⁴ التعليمية ، كلمة عربية مشتقة من العلم والتعليم، وتعني باللغة الفرنسية ديداكتيك، وتتمثل في توظيف جميع الوسائل والطرق التربوية والتعليمية التي تستعمل في مسألة التعليم والتعلم وهي فن من فنون التعليم.

⁵ التعليمية ، هي عملية التعلم التي يقوم به الفرد بنشاطه الشخصي، وعملية التعلم هي نتيجة لمرحلة التعليم ، وفي النهاية نقول هو أسلوب من أساليب تحصيل المعرفة.

⁶ الفراعنة ، وهو اسم يطلق على الملوك الذين يعيشون في قصور فخمة ، وحكموا مصر بعد مرحلة الدولة الحديثة ، علما بأنه ليس كل فرعون ظالم أو كافر.

⁷ الهيروغليفية هي الكتابة المصرية القديمة، وهي عبارة عن رسومات لكائنات حية، وتسمى أيضا بالكتابة المقدسة التي ظهرت بمصر بين 3000-3500 ق.م.

⁸ خالد عزب: " العمارة.. صورة لسلطة الدولة"، عدد 631، مجلة العربي، الكويت ، جوان 2011 ، ص 100.

⁹ عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي: التوافق بين ثقافتى الصورة والكلمة كمعيار للجودة في محتوى كتاب العلوم الفلسطيني بجزيئه للصف الرابع الأساسي ، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، غزة ، ص 61-63.

¹⁰ أبي الحسن الندوي (1914-1999)، مفكر وفيلسوف إسلامي هندي، تميز بكثرة التأليف نذكر أهمها: [ماذا خسر العالم](#) [بالخطاط المسلمين](#) ، دعوة المسلمين للاجتهد.

¹¹ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، بين الصورة والحقيقة، دار عرفات للدراسة والنشر ، راثلي برثلي الهند 1949 ، ص 4.

¹² عايدة نصر الله: " لغة الأشياء بنين النظرية والتطبيق: التعلم من خلال التجربة " ، عدد 5، مجلة الحصاد ، الكلية الأكاديمية بيت بيرل، 2015 ، ص 177.

¹³ نفس المرجع ، ص 183.

¹⁴ شجرة البوق، هي أشجار زاهية صفراء تنبت خاصة في أمريكا اللاتينية وأوراقها تشبه ورق النعناع وتستعمل حاليا لدواء مرض الدرقية.

¹⁵ نفس المرجع ، ص 186.

¹⁶ نفس المرجع ، ص 191.

¹⁷ Bruner (1915-2016) ، عالم نفساني وتربوي أمريكي، يرى بأن اللغة أهم أداة للتفكير، وهو صاحب نظرية الاكتشاف في التعلم والتعليم.

¹⁸ عبد الحميد، شاك: عصر الصورة، السليبيات والإيجابيات. الصفاة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 2005، ص 75.

¹⁹ عايدة نصر الله، " المرجع السابق، ص 197 .

²⁰ نفس المرجع ، ص 12.

²¹ عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي، المرجع السابق ، ص 51.

²² نفس المرجع، ص 55.

²³ نفس المرجع ، ص 60.

²⁴ أسماء محمد عبد الله أبو شرح: فاعلية إستراتيجية مقترحة قائمة على قراءة الصورة لتنمية مهارات التعبير الكتابي لدى تلاميذ الصف الثالث الأساسي ، رسالة ماجستير ،إشراف الدكتور محمد شحادة زقوت، كلية التربية ، جامعة الجامعة الإسلامية بغزة 2016، ص 17.

²⁵ نفس المرجع ، ص 22.

²⁶ اليونسكو، هي منظمة دولية تتبع للأمم المتحدة تأسست سنة 1945، وتسمى ب منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، تحتم بحماية التراث الثقافي العالمي ، تضم حوالي 193 دولة ، يقع مقرها في العاصمة الفرنسية باريس.

²⁷ معابد أبو سمبل، موقع أثري بجنوب مصر، وهو في الأصل معبد بناه الملك رمسيس الثاني حوالي 1244 ق.م.

²⁸ أحياء بوربودور هي عبارة عن أطلال أثرية روعة في الجمال بجاكارتا عاصمة إندونيسيا ، فهو أحد أهم مكان سياحي بجنوب شرق آسيا شيد منذ القرن التاسع .

²⁹ البندقية أو Venezia ، مدينة أثرية وسياحية تقع شمال إيطاليا، أغلب مبانيها يعود إلى عصر النهضة الأوربية بدءا من القرن الخامس عشر .

³⁰ لبارثيون، موقع تاريخي قديم به معابد تعود إلى العصر الإغريقي شيد في القرن الخامس الميلادي وهو يقع في أثينا عاصمة اليونان.

³¹ روجر بول درويت : " الإنسان في طور البناء "، عدد569، مجلة العربي، الكويت ، أبريل 2006، ص 88-89.

³² الندوي ، المرجع السابق، ص7.

³³ نفس المرجع، ص68.

³⁴ طارق عابدين إبراهيم عبد الوهاب: "قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة والإيحاء" عدد1، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ،أيلول 2012، ص 115.

³⁵ الأب غريغوار (1924 - 2015)، ويعرف باسم غريغوار حداد وهو مسيحي عربي لبناني، ومن أهم مؤلفاته تحرير المسيح والإنسان .

³⁶ Christoph Wetzel, p89.

³⁷ علي عبد المنعم، استاذ جامعي بجامعة الإسكندرية متخصص في علم النفس وعلوم التربية .

³⁸ علي عبد المنعم : الثقافة البصرية، دار البشرى ، القاهرة 2000 ، ص92-93.

³⁹ أسامة زكي السيد علي : "مراحل مقترحة لقراءة النص البصري ، نحو ثقافة بصرية في تعليم اللغة العربية لغيري الناطقين بها "، عدد33، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، حزيران 2014 ، ص388.

⁴⁰ عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي، أستاذة علوم التربية بجامعة الأزهر بمصر . متخصصة في المناهج وطرق التدريس.

⁴¹ عفاف عبد الرحمن إبراهيم الشنطي، المرجع السابق ، ص 52.

⁴² نفس المرجع، ص60.

⁴³ نفس المرجع ، ص73.

⁴⁴ أسماء محمد عبد الله أبو شرح، المرجع السابق، ص 21.

⁴⁵ نفس المرجع، ص27.

⁴⁶ نفس المرجع، ص28.

المصادر والمراجع :

(1) بول درويت روجر ، " الإنسان في طور البناء "، عدد569، مجلة العربي، الكويت ، أبريل 2006.

(2) خالد فرجون، التصوير الضوئي، القاهرة، دار الحديث، 2002.

(3) عادل سرايا، تكنولوجيا التعليم ومصادر التعلم، الطبعة الثانية. مكتبة الرشد، الرياض 2008.

(4) عبد المنعم علي ، الثقافة البصرية، دار البشرى ، القاهرة 2000 .

(3) عبد الوهاب طارق عابدين إبراهيم ، "قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة والإيحاء" عدد1، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ،أيلول 2012.

- (4) عزب خالد ، " العمارة.. صورة لسلطة الدولة" ، عدد631، مجلة العربي، الكويت جوان 2011.
- (5) السيد علي أسامة ركي ، "مراحل مقترحة لقراءة النص البصري ، نحو ثقافة بصرية في تعليم اللغة العربية لغيري الناطقين بها " ، عدد33،مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، حزيران 2014
- (6) ستولنيتير جيروم ، النقد الفني ، ترجمة فؤاد ، القاهرة ، جامعة عين شمس 1981.
- (7) شاكر عبد الحميد ، عصر الصورة، السلبيات والإيجابيات. الصفاة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 2005.
- (8) أبو شرح أسماء مُجد عبد الله ،فاعلية إستراتيجية مقترحة قائمة على قراءة الصورة لتنمية مهارات التعبير الكتابي لدى تلاميذ الصف الثالث الأساسي ، رسالة ماجستير ،إشراف الدكتور مُجد شحادة زقوت،كلية التربية ، جامعة الجامعة الإسلامية ، غزة 2016.
- (9) الشنطي عفاف عبد الرحمن إبراهيم ، التوافق بين ثقافتَي الصورة والكلمة كمعيار للجودة في محتوى كتاب العلوم الفلسطيني جزأيه للصف الرابع الأساسي ، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، غزة.
- (10) الندوي أبي الحسن علي الحسيني ،بين الصورة والحقيقة،دار عرفات للدراسة والنشر ، راثلي برثلي الهند 1949.
- نصر الله عايدة ، " لغة الأشياء بنين النظرية والتطبيق: التعلم من خلال التجربة " ، عدد5، مجلة الحصاد ، الكلية الأكاديمية بيت بيرل 2015.